

العلويون والشيعة في التاريخ الإسلامي "النشأة والتطور"

بشار قويدر

أستاذ محاضر

جامعة الجزائر 2

تناولت هذا الموضوع وفق خطة يستخلص أهم عناصرها فيمايلي:

- نشأة التشيع.

- تطوّر حركة التشيع في العهد الأموي.

- التشيع والعمل السري (ممارسة التقية).

- دور التشيع في إقامة الخلافة العباسية.

- الشيعة وعلاقتهم بالخلافة العباسية.

ترجع هذه المنافسة بين بني هاشم وبني أمية على الزعامة إلى ما قبل الإسلام ⁽¹⁾ والمؤكد أن الرسول μ قد عمل على احتوائها وتوجيهها توجيهًا صحيحًا للتلطيف من حدتها في أكثر المناسبات وكذلك فعل الخلفاء الراشدون بعده.

وأغلب الظن أن الحزب الأموي قد نشط أكثر من أي وقت مضى في عهد الخليفة "عثمان بن عفان" 24-35هـ/645-665م، وصار مؤهلاً إلى زعامة الحكم في الدولة الإسلامية ⁽²⁾ غير أن ترشيح "علي بن أبي طالب" الهاشمي خليفة للمسلمين بعد اغتيال الخليفة عثمان قد أدى إلى خيبة أمل كبيرة للحزب الأموي المنافس مما جعل زعماءه يسعون إلى الخروج من هذه الأزمة بمختلف الوسائل ⁽³⁾.

ولحسن حظ الأمويين وجود "معاوية بن أبي سفيان" بينهم حيث لم يكن يتمتع بخبرة إدارة وكفاءة في الحكم والتسيير فحسب، بل كان يملك من الدهاء والقدرة على اتخاذ المبادرات الخطيرة ما أهّله أن يتصدر زعامة الحزب الأموي ويقوده إلى النجاح ⁽⁴⁾ وذلك بتكوينه للخلافة الأموية في المشرق وقد امتد حكمها ما يزيد عن 90 سنة أي من سنة 40هـ إلى 132هـ/661-750م.

وكان من البديهي أن لا يعترف الحزب الهاشمي بهذا الأمر فجاهر بعداء شديد ورفض سياسة الأمويين رفضاً عنيداً، ولأسباب يصعب تحديدها بالضبط ⁽⁵⁾ عجز الأمويون عن إيجاد ظروف ملائمة للتفاهم مع

المعارضين بفرعهم (العلوي والعباسي) الذين سُمُّوا منذئذ باسم " العلويين " ولُقِّبوا أيضا بـ "الشيعية" أي أنصار "علي بن أبي طالب" تفرقا لهم عن الذين خرجوا عنه وسُمُّوا بالخوارج(*) .

ومن المؤكد أن حركة العلويين المناوئة لسلطة بني أمية قد بدأت منذ عهد مبكر من تاريخ هذه الخلافة الأموية الجديدة بداية سلمية اقتصرت على الدعوة إلى وقف الولاة الأمويين وخطبائهم عن شتم " علي " وأنصاره وإلى المطالبة بأرزاقهم التي يروا أن الأمويين قد قطعوها عليهم بسبب هذا التشجيع ولقد تركزت هذه المعارضة في مدن العراق (الكوفة والبصرة) على وجه التحديد⁽⁶⁾.

ومع مرور الزمن لم تقتصر تلك الحركة على مجرد المطالبة أو المعارضة وإنما تطورت إلى حد المجاهرة بالعداء للأمويين وممثليهم وأخذت في تنظيم دعاية واسعة لجمع الأتباع وتزعمها رجل معروف بموالاته لـ "علي" هو " حَجَرُ بن عَدِي " الذي لم يستجب لاقتراحات والي الكوفة لاستعادة الخلافة منهم، رغم تنازل "الحسين بن علي" عنها لمعاوية فإن والي الجديد " يزيد بن أبيه " الذي تولى أمر الكوفة بعد وفاة المغيرة عام 671/51م لم يعد ملزما بالسكوت عن هذه الحركة التي قد تؤدي إلى قلب الأوضاع وانتشار الفتنة من جديد⁽⁷⁾.

بيد أن وفاة "الحسن بن علي" المفاجئة عام 671/51م قد خلّصت العلويين من عهد كانوا قد قطعوه على أنفسهم تجاه الأمويين لم يكونوا راضين عنه فيما يبدو فانتقلت إمامة العلويين بعده إلى أخيه "الحسين" الذي اشتدت المعارضة في أيامه حتى أدت إلى استخدام العنف في بعض الأحيان ولقد تبين ذلك بجلاء حين آل منصب الخلافة إلى يزيد بن معاوية بدل "الحسين بن علي" الذي كان العلويون يرشحونه لهذا المنصب.

ولذلك فإنهم لم يجدوا بُدًّا عن التعبير عن سخطهم بإعلان الحرب عن الأمويين رغم إلحاح والي الكوفة الجديد "النعمان بن بشير الأنصاري" على ضرورة الحفاظ على الأمن ومنع إثارة الفتنة التي لا يحمد عقباها، وحسب أغلب الروايات فإن العلويين لم يستجيبوا إلى مثل هذه النداءات ولا أدري ما سبب استمرارهم في هذا الاتجاه رغم وضوح قلة عددهم وعدتهم بالقياس لخصومهم الأمويين الذين كانت تحت تصرفهم إمكانات دولة نامية ذات جيش منظم يمتثل لأوامر قادته، ولئن كان الدخول في حرب غير متكافئة مع وجود إمكانية تقاديتها تُعدُّ من قبيل المجازفة وقصر النظر فإن العلويين في هذه الحالة يعدون كذلك إذ ما لبثوا أن ورطوا إمامهم "الحسين" في معركة معروفة نتائجها من البداية وهي التي تعرف في مصادر التاريخ الإسلامي بموقعة "كربلاء" المشؤومة⁽⁸⁾. ولم يعد الندم الذي أصاب العلويين بعد هذه الحادثة كافيا للتكفير عن موقفهم المتخاذل إزاء إمامهم الحسين، وكان عليهم بطبيعة الحال أن يتراجعوا عن مثل هذه المواقف المتصلبة ريثما تكشف لهم الأحداث عن الجديد.

وبغض النظر عن الترتيبات التي استحدثها العلويون في أساليبهم في مواجهة الأمويين فإنهم رأوا أن أربع سنوات من العمل الدؤوب لجمع الشمل والدعوة والأنصار كافية لاتخاذ مبادرة بخصوص هذا الشأن، لكن ما لبث الجيش الأموي أن قضى عليهم قضاءً مبرما سنة 684/65م وعفا عن من تتبع فلولهم التي رحلت إلى الكوفة مرة أخرى⁽⁹⁾.

ولم يهدأ العلويون بعد كل هذه الانكسارات كما أنهم لم يتَّعضوا بما آل إليه حالهم، حتى أنهم صاروا وسيلة طيبة يتحكم فيها المغامرون ويستخدمهم الطموحون إلى النيل من النظام الأموي مثلما حدث لهم مع "المختار الثقفي" الذي أعلن الثورة ضدَّ الأمويين باسم "العلويين"⁽¹⁰⁾.

ورغم أن هذا الزعيم قد حاول إشاعة فكرة استعادة الخلافة من الأمويين وتنصيب أحد أئمة البيت العلوي وهو "محمد بن حنيفة" إلا أنه لم يلبث أن انّضح أنّه كان يعمل لمصلحته، فنشبت الحرب من جديد سنة 67هـ/686م ذهب ضحيتها مئات الأبرياء من المسلمين الذين وعدوهم بإصلاح حالهم وإعادة حقوقهم وقد بادر "المختار" بتنفيذ ذلك تمويها حيث أغدق عليهم بالأموال التي أخذها من بيت المال بدار الكوفة، وأطلق أيدي الناس في أموال وأملاك من ساهم بطريقة أو بأخرى في العداء للحزب العلوي⁽¹¹⁾.

ولعل هذا الصراع الدائر بين المتنافسين قد منح للأمويين الفرصة للتخلّص من الفتنة التي أثارها، فبادروا باتخاذ التدابير لإعادة الاعتبار لخلافتهم وكان ذلك على يد الخليفة ذائع الصيت "عبد الملك بن مروان" (65هـ-86هـ/684-705م)⁽¹²⁾.

ويبدو أن الضربات الموجهة التي تلقاها العلويون قد حملتهم على التفكير في إعادة النظر في أسلوب المواجهة ضد الأمويين ولما كان أكثر شيعة هذا التيار والمعارضة من العناصر الفارسية فقد نجحوا في اتخاذ أسلوب جديد عجز الأمويون عن كشفه وهو "العمل السري" وممارسة فكرة "التقية"^(*) وهي المبالغة في التستر وإظهار عكس ما يبطن، وهذا الأسلوب هو الذي مكّن العلويين، والعباسيين وحزبهم من تفويض السلطة الأموية بالرغم من اعتمادها على جيش من الجواسيس لتسقط أخبار العلويين وغيرهم من المعارضين لهم.

ولا شك أن هذا العمل السري الذي انتهجه الهاشميون (علويون وعباسيون) قد بذلوا فيه قصارى جهدهم، وحسب فحص الروايات التاريخية وتمحيصها يلاحظ أن الحزب العلوي قد نظم أتباعه تنظيمًا بلغ قمة الانضباط في العمل والتفاني في ممارسة التقية تجاه المعارضين لهم، وتركيزًا لخدمة هذا المبدأ الحساس⁽¹³⁾.

والمؤكد أنهم اعتمدوا على جهاز في غاية السرية يحتل الإمام رأس الهرم وتسانده مجموعة من الدعاة لا يشك في إخلاصهم له، فضلا عن تمتعهم بقدرات فائقة في السياسة وحسن التسيير ميزتهم عن غيرهم، وهم الوحيدون الذين كانوا يعرفون الإمام وقليلًا ما كانوا يجتمعون به حفاظًا على سرية الدعوة⁽¹⁴⁾.

والمصادر التاريخية الأساسية المعتمد عليها تقتصر إلى الروايات حول هذه الأعمال السرية في جهاز الدعوة الهاشمية (علويون وعباسيون) ونادرا ما تشير إليها⁽¹⁵⁾، والظاهر أن عداة الهاشميين الشديد تجاه الأمويين قد سدّ الطريق أمام أي خلاف داخل البيت الهاشمي رغم وضوحه فيما بعد، وفي ظل الظروف التي

كان يتم فيها العمل السري لجهاز الدعوة لتحضير الثورة ضد الأمويين لم يلاحظ أي تغيير طرأ على نظام الجهاز نظرا للسرية التامة التي كانت تحيط به.

ويمكن تحديد هذا التغيير بسنة (98هـ/716م) في عهد الخليفة الأموي "سليمان بن عبد الملك" (96-99هـ/715-720م) إثر وصول تقارير جواسيسه إليه بخطر نشاط الإمام العلوي وهؤلاء "هاشم" (*) ومن المحتمل أن يكون هذا الإمام قد شعر بانكشاف أمره وتآمر الخليفة "سليمان" ضده إلا أنه لم يتدارك ذلك إلا بعد فوات الأوان.

وليس من السهولة بمكان معرفة الأسباب الموضوعية التي جعلت اختيار الإمام هاشم يقع على محمد بن علي العباسي خليفة له وإماماً للدعوة⁽¹⁶⁾، ورغم محاولة بعض المؤرخين تفسير الأسباب الخفية لهذا التعيين إلا أنها لا تزال مجال جدل، ومن المحتمل أن يكون مصدر هذا القرار الارتجالي راجع إلى الألم الشديد الذي أصاب الإمام بعد عودته من قصر الخليفة الأموي إلى مقر إقامته بـ "الحميمة" على تخوم بلاد الشام، حيث لم يسعه الوقت للاتصال بالزعماء العلويين ولم يجد بجانبه غير محمد بن علي هزيل محمد من أهم زعماء حركة المعارضة ضد الأمويين، ويرجع إليه الفضل في تنظيم جهاز الدعوة تنظيمًا محكمًا دقيقًا، إذ لم يتمكن من توسيع دائرة نفوذ هذا الحزب فحسب، بل اهتم اهتمامًا شديدًا بمحاولة معرفة إمكانيات الرجال وقدرتهم في السيطرة على سرية التنظيم⁽¹⁷⁾.

ومن الغريب أن لا أحدًا من الدعاة أو من عامة الجمهور لاحظ أن الإمامة قد انتقلت من العلويين إلى العباسيين أبناء عموماتهم، وهم معذرون في ذلك إذ أن الإمام "محمد بن عبد الله" لم يسلك منهاجًا مغايرًا لمنهج سلفه ولم يعترض عن سياسة كان سلفه قد اتبعها، فكانت الدعوة تنتشط في الدعاية لصالح آل البيت دون تحديد أهلي لآل البيت العباسي؟ أم لآل البيت العلوي؟ وهذا هو سر الغموض الذي واكب نشاط الدعوة وتحولت الحركة بمقتضاه لصالح العباسيين بدل العلويين، بيد أن الإمام محمد لم يجن ثمار جهوده حيث لم يصل إلى الهدف الذي كان قد حدده وهو إعلان الثورة ضد الأمويين، إذ ما لبث أن توفي في ظروف غامضة سنة 126هـ/743م وخلفه ابنه "إبراهيم"⁽¹⁸⁾ الذي تلحق المصادر باسمه لقب "الإمام" في أغلب الروايات وهو الذي شهدت الدعوة على يده منحى خطيرا وذلك بانتقالها من مرحلة السرية إلى العلنية عن طريق مولاه "أبي مسلم الخراساني" الذي وظف مواهبه توظيفًا حكيمًا ونفذ نجاح الثورة تنفيذًا فاق كل تقدير⁽¹⁹⁾.

وبغض النظر عن عنف المعارك التي دارت بين أنصار العباسيين وبين الجيش الأموي والضحايا التي سقطت من الطرفين⁽²⁰⁾، فإن الثابت أن الأمويين قد انهزموا هزيمة منكرة لم يعد لهم بعدها أمل في استرجاع سلطتهم في المشرق، والمنتبج للأحداث التاريخية يرى بوضوح مصير الخلافة بين يدي العباسيين أمرا لا يحتمل أي شك، ولكن شيء ما كان يحدث في الخفاء، وكان الذي يدبره هو داعي الدعاة "أبو سلمة الخلال" (*) الملقب بـ "وزير آل البيت"، و "وزير آل محمد" في روايات أخرى.

والعجيب أن هذا الرجل لم يلاحظ عليه أي انحياز إلى اتجاه يخالف أئمة الشيعة، ولكن بعد نجاح الثورة دلت مواقفه المشبوهة على أنه كان يسعى إلى إعادة تقويم الخط الذي سارت عليه الثورة وإرجاعه إلى جذوره الأولى أي تنصيب العلويين بدل العباسيين وظهر ذلك جليا حين احتجز العائلة العباسية مدة طويلة وقام

بتعطيل عملية تسليم البيعة لـ " أبي العباس " أول ممثل للخلافة العباسية، وأخذ في مراسلة بعض الزعماء العلويين ووعدهم بإعطاء البيعة لهم بدل العباسيين، إلا أن هذا الموقف الذي عدّه العباسيون وأنصارهم مؤامرة خطيرة ضدهم يجب القضاء عليها في المهد⁽²¹⁾، ومهما يكن من أمر ذلك فإن العباسيين بعد نجاح الثورة أظهروا منذ البداية تشبّثهم بالسلطة، وعدم السماح لأي كان منافستهم فيها، وتمثل ذلك في نص الخطبة الافتتاحية التي ألقاها الخليفة العباسي الأول " أبو العباس " عام 132هـ/749م بمناسبة اعتلائه عرش الخلافة⁽²²⁾. ولا شك أن العلويين وشيعتهم قد أصيبوا بخيبة أمل بعد انكشاف خطط أبناء عمومتهم العباسيين، وازدادت الهوة اتساعاً بين الطرفين حين تحددت هوية الخلافة الجديدة واتضحت صيغتها العباسية إيضاحاً لا شك فيه.

ويبدو أن بعض المؤرخين المسلمين قد شاركوا العلويين في الإحساس بصدمة خيبة الأمل هذه وقد كانت غير متوقعة فراحوا يروون تفاصيل العلاقة بين العلويين والعباسيين بمقتضى اتفاق سري قد أجمعوا عليه في اجتماع سري عقده في مكة قبل إعلان الثورة⁽²³⁾، واتفقوا فيه على أن يكون " محمد بن عبد الله " (*) الملقب بـ " النفس الزكية " خليفة وإماماً للأئمة في حالة القضاء على الخلافة الأموية.

والظاهر أن هذا الخبر يعوزه التدقيق وتتقصه الأدلة التاريخية لأنه من المستبعد أن ينطوي زعماء البيت العلوي على أنفسهم طيلة فترة الثورة ومنصب إمامة الأمة منهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف يمكن للعباسيين خوض كلّ هذه المصاعب من أجل القضاء على الأمويين، ثم يقدمون السلطة إلى العلويين في وقت كانت الظروف كلها مهيأة لهم وتسير وفق خططهم، ولئن كان للموضوع جانب من الصحة فهو لا يعدو أن يكون خدعة اعتمدها العباسيون من أجل توحيد المجهودات وتماسك آل البيت في مواجهة العدو المشترك وهو النفوذ الأموي، ومع احتمال وجود مساعي حميدة بعد تنصيب الخلافة العباسية لتقريب وجهات النظر بين العباسيين أصحاب السلطة وبين أبناء عمومتهم العلويين، إلا أن شيئاً من ذلك لم يكتب له النجاح للأسف⁽²⁴⁾ ولذلك فقد تحولت خيبة أمل العلويين إلى ركوب تيار المعارضة العنيفة من جديد، وهذه المرة لإسقاط الخلافة العباسية وليست الخلافة الأموية.

وأغلب الظن أن أول تحرك لهم كان بزعامة " محمد النفس الزكية " الذي تصنفه المصادر التاريخية واحداً من أبرز شخصيات البيت العلوي الطموحين إلى نيل منصب الخلافة حيث رفض منذ البداية عقد البيعة لـ " أبي العباس " وأتبعه في ذلك أخوه " إبراهيم " الذي تزعم هذه الفكرة في جنوبي العراق مركز الحركة العلوية سابقاً، وكان هذا الموقف بداية قلق وحذر البيت العباسي من البيت العلوي، وفي الوقت الذي لا يُسمح فيه بالتجاوزات وليس من مصلحة العباسيين الاصطدام بأبناء عمومتهم فإن الخليفة " أبا العباس " أخذ كل ما في وسعه لتجنب حدوث مواجهة مباشرة بينه وبين العلويين فسعى إلى التودّد إليهم وإلى محاولة

مصالحة محمد النفس الزكية ولكن دون جدوى لأن هذا الأخير لم تكن له نية قبول فكرة وجود من هو أحق بالخلافة منه.

والروايات التاريخية تشير إلى أنه لم يكتف برفض مبايعة الخليفة العباسي فحسب وإنما سعى من جديد وبكل عزم إلى نشر دعوته بين الناس وجمع الأتباع والأنصار لضمهم إلى هذه الحركة بعد أن أخذت منهم الحروب المتكررة مأخذا عظيما⁽²⁵⁾.

وحينئذ كان الخليفة "أبو العباس السفاح" يُوطد أركان دولته الجديدة في ظروف جد صعبة ناتجة عن آثار الحرب الطويلة ولذلك لم يتخذ مبادرة حاسمة يمكن الاعتماد عليها كمحاولة منه إيقاف نشاط العلويين أو ترصيتهم.

ولعل هذا السلوك يدل على رجاحة موقف هذا الخليفة إذ من غير المنطق أن يفتتح عهده بحرب قد تؤدي إلى استمرار إراقة دماء المسلمين، هذا فضلا على أنه يعي جيّدا ثغرات نظامه ومن جهة أخرى وجيدا أنه لم يكن بوسع المعارضة أن تشكل خطورة على أمن الخلافة الجديدة وذلك لنقص الإمكانيات وفتور الناس وكرهيتهم للحرب.

وعلى العكس من ذلك في عهد الخليفة "أبي جعفر المنصور" (136-156هـ/754-775م) الذي كان يحمل خطة أكثر وضوحا من سلفه إزاء علاقته بالعلويين، حيث اتسمت مواقفه تجاههم بالشدة والصلابة منذ البداية، إذا أنه رغم انشغاله بإسكات المعارضة داخل البيت العباسي التي تزعمها عمه "عبد الله"⁽²⁶⁾ وإيقافه لخطر القائد "أي مسلم الخراساني" ذائع الصيت⁽²⁷⁾ وانشغاله أيضا ببناء عاصمة جديدة للخلافة العباسية وهي "بغداد" إلا أنه اضطر إلى أن يولي اهتماما بالغاً بما يجري في منطقة الحجاز مهد الحركة العلوية التي باتت مهياً للقيام بانتفاضة كبيرة يخشى من ورائها على مصير الخلافة العباسية⁽²⁸⁾.

ولم يكن هذا الخليفة عاجزا عن اتخاذ المبادرة لما عُرف عليه من شدة وصلابة في المواقف وخاصة إزاء حركة كهذه، ولذلك فقد أولى عناية كبيرة بالموضوع فبث الجواسيس وأشرف هو نفسه على اختيارهم ليستطلعوا عن أخبار ونشاط العلويين هناك، ويتعقبوا حركات "محمد النفس الزكية" حتى إذا اتضحت له معالم الحركة بكل تفاصيلها أسرع إلى اتخاذ ما من شأنه أن يستأصل جذور هذه الفتنة.

وأول عمل قام به بخصوص هذا الموضوع هو استبدال والي الحجاز بآخر أكثر منه شدة وبأسا وجهّزه بكل ما أمكن من عدة وبسط له الأموال وصيّره مطلق التصرف في المنطقة لتضييق الحصار على العلويين هناك⁽²⁹⁾ وقد صدقت فراسة هذا الخليفة إذ ما لبث أن برز الزعيم العلوي من مخبئه عام 145هـ/762م، وحفاظا على إراقة دماء المسلمين في مدينة رسول الله ﷺ المقدسة فإن "محمدًا" لم يعتمد على استخدام العنف في بداية حركته وإنما حاول الاتصال بشييعته هناك وذلك لأن معظم السكان كانوا ساخطين على سياسة والي العباسي ولم يتردد أغلبهم في الانضمام إليه، فأسرع من توه إلى المسجونين وأطلق سراحهم، وأضحت المدينة المنورة علوية الهوية ومستعدة لأن تسترد دورها التاريخي الذي فقدته منذ وقت بعيد⁽³⁰⁾.

ومن الصعوبة بمكان تفسير سرعة انهزام الوالي العباسي في المدينة وعدم وجود قوة عسكرية تدعمه في الحجاز وتتريص لهذا الخطر المرتقب ولكن يبدو أن ذلك كان إحدى أهم المعطيات التي شجعت الحركة على الانتشار إذ ما لبث محمد النفس الزكية أن ضم مدينة مكة دون تكلفة تذكر ولاذ واليها العباسي وحاشيته بالفرار⁽³¹⁾ ولم تعد الحركة العلوية قاصرة على الحجاز فحسب، بل تجاوزته إلى منطقة العراق، وذلك حين تمكن أخو محمد المسمى "إبراهيم" من الاستيلاء على مدينة البصرة، وأخذت فكرة مبايعة "محمد النفس الزكية" بالإمامة وقيادة الأمة الإسلامية ترد إليه من أغلب أنحاء العالم الإسلامي⁽³²⁾.

وفي ظل هذه الظروف الحرجة أدرك الخليفة "أبو جعفر المنصور" أن كل ما قام به إزاء العلويين لم يعد يجد نفعا، وأن حركتهم صارت تهدد الوجود العباسي وتستهدف القضاء عليه قضاء مبرما فإزداد اقتناعه بالإسراع في إتخاذ الموقف الحاسم، ولتشجيع الجيش الذي خصصه الخليفة لهذه المهمة فإنه أشاع بأنه هو الذي سيقوده إلا أنه عدل عن ذلك لأسباب أمنية على ما يظهر، وعين بدله كبار قادة الدولة العباسية ومنهم ولي العهد "عيسى بن موسى" و"حميد بن قحطبة" وإمعانا في تطويق الحركة العلوية فإن الخليفة أبا جعفر لم يقتصر على مواجهتها بالجيش فحسب، بل حاصرها اقتصاديا ومعنويا أيضا⁽³³⁾ ولتفادي سفك دماء المسلمين راود الخليفة الزعيم العلوي على ترك الفتنة مقابل ضمانات وتعهيدات مادية ومعنوية منها تنفيذ قرار إطلاق سراح العلويين المسجونين ومنها الالتزام بدفع مقدار مالي معتبر⁽³⁴⁾.

والظاهر أن هذه الإغراءات لم تثن من عزيمة هذا العلوي الطموح فلم يرفض فكرة المصالحة فحسب، وإنما ردّ على الاقتراح ردا عنيفا اعتبره الخليفة مسا بكرامته وطعنا في سلطته كأمر المؤمنين⁽³⁵⁾.

ومن المرجح أن يكون لهذا الرد العنيف أثر كبير في تزويد الخليفة قادة جيشه بتعليمات صارمة حول ضرورة تصفية الحركة والقضاء على زعمائها قضاء مبرما، والروايات التاريخية تتحدث بالتفصيل عن الأساليب العسكرية التي أتبعت في هذه المعركة وعن حركة الاقتتال التي دارت بين الطرفين، وبغض النظر على مبالغة بعض المؤرخين في ذكر خطط "محمد النفس الزكية" في الدفاع عن المدينة فإن الجيش العباسي قد تمكن من تصفية العلويين وتشيدهم وقتل زعيمهم⁽³⁶⁾.

ومهما كانت آثار هذه النتيجة سيئة على العلويين ونصرا لخصومهم العباسيين، فإن زعيم الحركة "محمد النفس الزكية" كان دون مستوى فهم خطة الخليفة أبي جعفر في القضاء على حركته فالمحاولات الاستنزائية التي استهدفت خروج الزعيم العلوي من مخبئه بدروب الحجاز الوعرة لم يكن منها حسب رأبي سوى محاولة التعجيل باستدراجه إلى مواجهة الجيش العباسي قبل اتخاذ العدة لذلك كما أنه من السهولة بمكان إحباط دعوته وهي في الحجاز حيث يمكن تطويقها من كل الجهات وعلى العكس فيما لو بقي في

ملجئه مستترا يكثر من الأتباع ويجمع إليه الأنصار، ولذلك فإن الحظ قد خان هذا الزعيم كما خان قبله زعماء علويين آخرين ومن ثم فإنه يعد المسؤول المباشر عن هذه النتيجة التي وصلت إليها هذه الحركة.

ومع أن جذور هذه الحركة قد قضي عليها في الحجاز وانتشر صداها في كامل أنحاء الدولة، إلا أن ذيولها كانت لا تزال تتحرك في العراق وتقلق مضجع الخليفة العباسي في بغداد رغم وجود بعض فرق جيشه في منطقة الكوفة تعرقل انتشار الحركة العلوية وتحاصرها في المدينة والبصرة.

ومن المحتمل أن تكون أنباء الهزيمة التي مني بها العلويون في الحجاز قد أثرت على معنويات أنصارهم ومواليهم الذين كانوا تحت قيادة إمامهم بعد أن كانت مرتفعة عند احتلالهم مدينة البصرة التي صار أهلها - كما جاء في إحدى الروايات - يلبسون اللباس الأبيض مخالفة للألبسة السوداء الزي الرسمي للعباسيين⁽³⁷⁾.

وفي الحقيقة فإن القائد العلوي "إبراهيم" لم تجابهه مقاومة من قبل سكان البصرة وشجعهم ذلك على المضي إلى المناطق المجاورة حتى وصل دعاة إقليم خراسان ومع هذا النجاح فإن مهمة "إبراهيم" ازدادت صعوبة بعد سماعه مقتل أخيه وتشريد أتباعه كما أشرت إلى ذلك سابقا.

ولذلك فإنه كان من المنتظر أن يتخذ كل أسباب الحيلة ويسلك سبيل الحذر إزاء هذه الأوضاع المشوبة بالأخطار، بيد أن شيئا من هذا لم يحصل حيث فاجأ "إبراهيم" مستشاريه وقادة جيشه بقبول وعود أهل الكوفة لنصرته وضرب تحفظاتهم واقتراحاتهم عرض الحائط ولا ندري سبب اطمئنان هذا الزعيم لتلك الوعود رغم أنها فشلت مع أسلافه وسببت لهم هزيمة منكرة زمن الأمويين⁽³⁸⁾.

ويبدو أن الجيش العباسي قد كان يتمتع بمعنويات عالية حيث رجع إلى العراق ليقضي على العلويين هناك بعد أن قضي عليهم في الحجاز، ولكن الروايات التاريخية التي وصفت المعركة تميل إلى أن النصر في البداية كان لصالح العلويين وأنهم كادوا يقضون على القائد العباسي "عيسى بن موسى" لولا استماتة مساعده القائد "حميد بن قحطبة" الذي رجح كفة النصر لصالح الجيش العباسي⁽³⁹⁾.

إن هذا الانهزام المحيق الذي مني به العلويون في العراق لدليل آخر على سوء تصرف قادتهم، ذلك أن القوة - كما تحددها المصادر - كانت إلى جانب العلويين لكثرة ما انظم إليهم من أتباع ممن يجمعهم الحقد والكراهية للعباسيين، وإذا كان عدد العناصر المقاتلة لا يحدد وحده مصير المعركة وأن الخطط العسكرية المتبعة والمراوغة والخدعة في الحرب بما فيها عناصر المباغته هي التي تحدد ذلك، حيث إنها لم تحض بالعناية الكافية في حركة العلويين بالعراق، إذ لم يتخذ زعيمها أية تدابير يمكن اعتبارها خطة للقضاء على الجيش العباسي، ولذلك فقد تمكن العباسيون من القبض عليه وإجهاض حركته تماما مثلما وقع لأخيه "محمد النفس الزكية في الحجاز".

والظاهر أن هذا النصر المؤزر الذي حازه العباسيون ضد بني عمومتهم العلويين لم يؤثر على مواصلة تدعيم سلطتهم فحسب، بل اتخذ كدعاية لصالحهم أمام الرأي العام الشائع بأن الغلبة تكون دائما لهم وأنهم

القوة الوحيدة التي تستطيع أن تقود الأمة الإسلامية وقتئذ، ولذلك فإن الخليفة العباسي " أبو جعفر " قد اتخذ منذئذ لقباً جديداً هو "المنصور بالله" وهو لقب ظل يرافق اسمه عبر التاريخ.

ولعل هذه الفتنة التي أثارها العلويون وغيرهم والتهديدات التي استهدفت تفويض سلطة العباسيين هي التي كانت سبباً في تعجيل الخليفة المنصور بإنهاء مشروعه الاستراتيجي الهام وهو إتمام بناء عاصمته الجديدة "بغداد" وإحكام تحصينها صيانة للنظام المستهدف من قبل هذه المعارضة الشديدة العناد.

وحسب ما تجمع لدي من معلومات ألاحظ أن الانهزامات التي تعرض لها العلويون في عهد "المنصور" والإجراءات القاسية التي اتخذت لتصفية حركتهم قد كانت سبباً في هدوء الأوضاع وعدم التفكير في الثورة ضد السلطة العباسية مرة أخرى.

وأغلب الظن أن هذا المنهج الذي سلكه العلويون في السنوات التالية من حكم الخليفة المنصور هي التي جعلت الخليفة المهدي⁽⁴⁰⁾ الذي اعتلى العرش بعد أبيه يمارس جانب المهادنة لاستمالة الغاضبين من سياسة أبيه ومنهم العلويون، حيث أطلق سراح المسجونين منهم وأبدى رغبة كبيرة في التسامح معهم وذهب معهم في هذا الاتجاه إلى أبعد الحدود، وذلك حين استوزر " يعقوب بن داود " المعروف بميله الكبير إلى العلويين وأمدهم بالأموال وأجزى لهم الأعطيات بمناسبة وبدون مناسبة هذا فضلاً عن إعانته لسكان الحرمين -مركز الحركة العلوية- بإمدادهم بالمؤن ورعاية المصالح العامة مساعدة لهم على تحسين مستوى معيشتهم، وإلى جانب ذلك فإنه فتح الباب على مصراعيه لتوظيف " الموالى " رغبة في امتصاص غضبهم ومحاولة لاحتوائهم حتى لا يصيروا عرضة لأطماع أحزاب المعارضة فيستغلونهم لتحقيق أغراضهم السياسية⁽⁴¹⁾، وتجب الإشارة إلى أنه لا يمكن الاطمئنان إلى الهدوء النسبي الذي ساد بين العباسيين والعلويين عهد هذا الخليفة وإنما كان فترة استجماع القوة وتحضير الظروف الملائمة للانتفاضة ضد السلطة العباسية مرة أخرى، ويستدل على ذلك انتفاضتهم المفاجئة مباشرة بعد تولي الشاب " الهادي " عرش الخلافة بعد وفاة أبيه المهدي سنة 169هـ/785م وذلك حين قام زعيمهم " الحسين بن علي " الذي لم يرضه تعاقب الخلفاء العباسيين على العرش وإمارة المؤمنين وهو أولى منهم على حد زعم الحركة العلوية.

ومن الصعوبة بمكان معرفة الإجراءات الموضوعية التي قام بها هذا الزعيم العلوي لتدبير الحركة وتنظيمها بعد هذا الركود النسبي، ويبدو أنه كان متسرعاً في اتخاذ قرار إعلان الثورة ضد العباسيين وكان بإمكانه التريث قليلاً لإعطاء الفرصة لأتباعه في اتخاذ العدة الكافية للخوض في مثل هذه الأمور خصوصاً وأن الدروس التي لقت لأسلافه كانت كثيرة وقد أدت ارتجاليتهم في كثير من الأحيان إلى نتائج مأساوية كما أشرت إلى ذلك سابقاً.

ومصادر التاريخ المتعاطفة مع الحركة العلوية قد حاولت إيجاد بعض الأسباب لتبرير موقف "الحسين" المتسرع ومنها أن فترة المهادنة والتسامح قد باتت قاب قوسين أو أدنى بعد موت الخليفة المهدي وأن العداء للعلويين قد تجدد منذ اعتلاء الخليفة "الهادي" العرش ويتهمون به بالتعدي على سكان المدينة المنورة ويحملونه أسباب قيام الفتنة من جديد⁽⁴²⁾.

وفي الحقيقة فإن هذه الادعاءات تتقصها الدقة، وتعوزها الأدلة التاريخية إذ لا يعقل أن يفتح "الهادي" وهو في بداية حكمه - جبهة ضده وقد سمع الشيء الكثير عن عنادها وبغضها للعباسيين، ثم إن الهادي لم يلاحظ عليه أي شيء يمكن اعتباره سببا في إتخاذ موقف معاد تجاه العلويين سواء أكان ذلك في عهد أبيه أو أثناء اعتلائه العرش.

ومهما يكن من أمر ذلك فإن الخليفة "المهدي" قد وجد نفسه مدفوعا إلى مواجهة الفتنة التي أثارها مجموعة من أعيان البيت العلوي وعلى رأسهم "الحسين" الذي أدعى أن موقفه ضد السلطة العباسية لا يهدف إلى تغيير نظام الحكم وإنما هدفه رفع الظلم عن الناس⁽⁴³⁾.

ولئن كان هذا الشعار قد استهوى مجموعة من أهل المدينة إلا أن بعضهم قد تحفظ من الحركة وعدّها نوعا من المغامرة غير مضمونة العواقب، والظاهر أن "الحسين" قد تمالى في مواصلة حركته مستغلا ضعف والي العباسي وتخاذله في الدفاع عن ولاية المدينة فاستولى على بيت المال وقسم الأموال على أتباعه وعلى السكان الفقراء وألقى في المسجد النبوي خطبة دعا فيها إلى نقض بيعتهم للخليفة الهادي وعقدها له، وأمر المؤذنين للصلاة أن يستبدلوا طريقة آذان أهل السنة - وهو مذهب الخلافة العباسية - بطريقة آذان أهل الشيعة، الداعي إلى المناداة بـ "حيّ على خير العمل" بدلا من "حيّ على الفلاح"⁽⁴⁴⁾.

ويبدو أن الخليفة الهادي لم يترك الفرصة لـ "الحسين" لاستكمال مشروعه هذا فأسرع إليه بجيش داهمه وهو في طريقه إلى مكة المكرمة في منخفض يعرف بـ "وادي فخ" في ذي الحجة سنة 169هـ/786م.

ولم يلق الخليفة الهادي أية صعوبة في تشكيل هذا الجيش وتدريب أمره فقد قام بذلك عمه "العباس بن محمد" الذي منحت له مطلق الصلاحيات للتصرف وكان هذا الرجل قائدا عسكريا ناجحا في الجبهة الشمالية على الحدود العباسية البيزنطية فوظف تجربته الحربية الكبيرة في هذه المعركة، وفي الحقيقة فإن هذا القائد قد أدرك منذ الوهلة الأولى قلة أنصار "الحسين" ووهن جيشه ولذلك طلب منه الاستسلام أسوة بمن معه من الأبرياء، لكن الزعيم العلوي أصّر على القتال فدارت بينهما معركة شرسة ذهب ضحيتها الكثير من أعيان الحزب العلوي ومواليه حتى عدّها بعض المؤرخين كربلاء الثانية، ولم ينج من القتل سوى من استسلم أو تسلّل ولاذ بالفرار ومنهم زعيمان علويان سيكون لهما أثر كبير في مواصلة توتر العلاقات بين العلويين والعباسيين وهما الأخوان "يحيى" و"إدريس" أبناء عبد الله، الأول إتجه شرقا حتى استقر به الحال في منطقة "الديلم" والثاني فرّ غربا واستقر بالمغرب الأقصى.

والروايات المهمة بمشكلة العلويين تلاحظ أنهم تمتعوا بحرية كبيرة في بداية عهد الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) وذلك بسبب محاولة وزرائه البرامكة تقريب وجهات النظر بين آل العباس وآل

علي⁽⁴⁵⁾ حيث سمحوا لهم بعقد المجالس والمناظرات لمناقشة القضايا الهامة ومنها قضية الإمامة والخلافة وهي مصدر الصراع العباسي العلوي، ويُروى أن هؤلاء الوزراء قد تهادوا في هذا الاتجاه منتهزين ثقة الخليفة الرشيد فيهم حتى أنهم أوعزوا إلى "يحي" العلوي بالثورة ضد العباسيين⁽⁴⁶⁾.

وبغض النظر عن صحة هذه الروايات أو خطئها فإن الشائع أن ثورة "يحي" في الديلم قد قضى عليها وهي في المهد وذلك بعد أن قدّم الخليفة الرشيد ضمانات ومواثيق لهذا العلوي تعهد فيها أن لا يمس بضرر هو ومن معه وبإعلان العفو العام عن أتباعه⁽⁴⁷⁾.

والرائج أنه لم يكن له تنسيق مع أخيه "إدريس" في الفرار إلى المغرب متكررا بزي التجار وفي ظروف يبدو أنها كانت صعبة وذلك نظرا للحراسة المضروبة عليه، ويبدو أنه كان لا يحمل أي برنامج للعمل كما أنه لم يكن يتوقع ما سيلاقه في هذه البلاد الغربية البعيدة عن دائرة اهتمامه ولكن اختياره لهذا المكان كملجأ لا يمكن أن يطمئن على أنه وقع بمحض الصدفة وإنما من المحتمل أن يكون هذا العلوي أو غيره بعد ما لقي من أسلافه ويلات قد اتصل ببعض المغاربة أثناء موسم الحج في البقاع المقدسة وتحرى معهم الأوضاع السياسية في بلادهم وإمكانية نجاح دعوة آل البيت هناك، وصحيح أنه لا توجد إشارة إلى الموضوع فيما توفر لدي من مصادر الآن لكنه من غير المنطق أن نطمئن إلى أن هذا الرجل قد سافر دون أن يكون له تصور ولو جزئي للأوضاع العامة بالمغرب وإمكانية تقبل السكان لفكرته، إذ لا يعقل أن يترك شيعته في المشرق ويهاجر إلى المغرب الذي يجهله.

وأغلب الظن أن خطة تسله كانت مدبرة حيث تمكن من اجتياز مصر بمساعدة أحد موظفي البريد وكان شيعيا⁽⁴⁸⁾، وقد حاول الخليفة العباسي هارون الرشيد إيقافه حين أوعز ذلك لممثليه في المغرب وهم الأغلبية بضرورة ترصد حركاته وإتباع خطواته، والمصادر المتوفرة بين أيدينا لا تعطي تفسيراً مقبولا لسبب فشل الأمراء الأغلبية في القبض على "إدريس"^(*) وأظنه كان على جانب كبير من ممارسة النقية والتستر وبارعا في التمويه بحيث أنه تمكن من الوصول إلى المغرب الأقصى في أمان دون ملاحقة تذكر⁽⁴⁹⁾.

ويبدو أن شيوخ القبائل وزعمائها كانوا مهيبين لاستقبال كل معارض لسياسة المشرق ولذلك فقد قبلوا به "إماماً" لهم وأميراً عليهم دون أن يكلف نفسه عناء الدعوة إلى ذلك، ولم تكد تجتاز سنتان عن قدوم إدريس إلى المغرب الأقصى حتى أعلن عن ميلاد دولة علوية عرفت بالدولة الإدريسية^(*) أخذت تتركس عملية انفصال المنطقة على سلطة الخلافة العباسية حيث لم يكن يعد بإمكان الخليفة اتخاذ موقف صارم ضد هذه الحركة البعيدة واكتفى أعوانه باغتيال "إدريس" عام 175هـ/791م ظنا أن ذلك سيقضي على الحركة العلوية الناشئة⁽⁵⁰⁾.

والظاهر أن الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى قد صارت ملجأ العلويين ومتنفسا لهم من حقد بني عمومتهم العباسيين ولذلك فإنهم لم يفكروا في التمرد على سلطة الرشيد طيلة فترة حكمه على أن ذلك لا يعني أنهم نسوا أحقادهم الدفينة تجاه العباسيين بدليل أنهم انتهزوا فرصة إثارة الحرب الأهلية التي دارت بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون للثورة والتمرد، ولعل أخطر حركة واجهها العباسيون في هذه الفترة هي تلك التي كانت سنة 199هـ/815م بزعامة " أبي السرايا " الذي استعمل الظروف غير المناسبة فأشعل فتنة امتدت إلى أغلب مدن المشرق عصرئذ.

وحسب وصف المصادر التاريخية لحجم المعارك التي خاضها القائد "أبو السرايا" باسم العلويين فإن الخسائر البشرية والمادية كانت كبيرة وقد وسعت الهوة من جديد بين الأشقاء المسلمين⁽⁵¹⁾، ومن المرجح أن يكون استفحال الفتنة التي أثارها العلويون في معظم أقاليم الخلافة في عهد "الخليفة المأمون" هي التي كانت سببا في منح ولاية العهد لأحد الشخصيات العلوية⁽⁵²⁾.

ولئن دلّ هذا الموقف على شيء فإنما يدل على أن الخلفاء العباسيين كان بإمكانهم تفادي كل تلك الأخطار التي تعرضت لها الخلافة منذ اعتلائهم العرش لولا أنانيتهم في الاستئثار بالسلطة دون بني عمومتهم العلويين هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا الموقف دليل على دهاء هذا الخليفة العباسي، حيث أن تعيين أحد العلويين وليا للعهد هو في حد ذاته تقوية الفرصة على المتمردين، إذ لا شرعية لحركتهم بعد هذه المبادرة الجريئة.

وبغض النظر عن الظروف التي فرضت على الخليفة المأمون اتخاذ هذا السلوك فإنّ الثابت أنه سرعان ما تنكر للعلويين حين أحس نفسه قادرا على ضرب مكاسبهم⁽⁵³⁾.

ومهما يكن من أمر مشكلة العلويين هذه فإنها ظلت معلقة طيلة فترة وجود العباسيين في السلطة، ولم يتمكن أحد من الوصول إلى حل عادل للقضية وقد يطول بنا الحديث لو حاولنا استعراض ذلك، في هذه الدراسة.

الهوامش:

- (1) بنو هاشم وبنو أمية من بين أهم العائلات القرشية الراقية في الجاهلية وفي الإسلام وكان لكبار رجال البيتين نفوذ واسع وزعامة معتبرة لدى العرب ينتميان إلى جد واحد هو "قصي" ولكن حب السلطة والتنافس على المناصب العليا أدى إلى وجود تنافس حاد بين زعماء العائلتين ابتداء من هاشم بن عبد مناف وابن أخيه أمية بن عبد الشمس على زعامة قريش مما أحدث فجوة بين البيتين ظلت مستمرة ولكنها مستترة وراء أساليب مختلفة.
- الأزرقى، أخبار مكة، ص 71 وما بعدها ابن الأثير، الكامل، ج2، ص14، وما بعدها.
- عبد المنعم ماجد، الدعوة العربية، ج2، ص15، ماجد، العصر العباسي الأول، ج1، ص15.
- (2) يروى أن كثيرا من زعماء بني أمية قد استفادوا من امتيازات مادية ومعنوية كبيرة في عهد الخليفة عثمان الذي كان ممثلا للبيت الأموي على حد زعم بعض الروايات رغم ما في هذه الروايات من مبالغة -سأرد عنها في دراسة أخرى- فإنه يصح اعتبار بروز عناصر من البيت الأموي على مسرح السياسة العربية الإسلامية منهم على سبيل المثال، عبد الله بن سعد، عمرو بن العاص، معاوية بن أبي سفيان وغيرهم ولكن ليس للسبب ذاته.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج 4، ص 253-256-345، ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 52، ابن الأثير، أسد الغابة، ج 2، ص345. المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص345، ابن كثير، البداية والنهاية، ج7 ص65.
- (3) نتحدث أغلب مصادر التاريخ الإسلامي عن تعصب الأمويين اتجاه سياسة الخليفة "علي" على اعتباره المسؤول عن قضية مقتل الخليفة عثمان وطالبوه باتخاذ الإجراءات القضائية ضد منفذي هذه الجريمة وتطورت القضية إلى أن صار الخليفة "علي" متهمًا من طرف الأمويين وحملوه تبعية ما سبترت عن ذلك من أحداث، الدينوري، الأخبار الأطوال، ص158-159 ابن الأثير، ج3، ص136، وما بعدها.
- (4) أكثر مصادر التاريخ تعترف بعقوبة معاوية في السياسة سواء في عهد الإمارة أو في فترة حكمه للخلافة الأموية، انظر مثلا، المسعودي، مروج، ج3، ص41-42، ابن الأثير، أسد الغابة، ج5، ص210، وما بعدها.
- (5) قد يكون من بينها استمرارية المنافسة بين البيتين الهاشمي والأموي ومنها أيضا انعدام الثقة في الأمرين في نظر الزعماء العلويين لأنهم يعتبرونهم مغتصبين للحكم وإنهم كانوا سببا في مقتل الخليفة علي بن أبي طالب وغير ذلك من الحساسيات التي لا يسعنا المجال ذكرها في هذه المناسبة.
- (*) فرقة كانت من أنصار "علي بن أبي طالب" ثم ثارت ضده بعد أن حاولت إقناعه بضرورة التحكيم أثناء موقعة صفين الشهيرة ومن مطالبها السياسية رفضها لفكرة وراثته الحكم والإقرار بمبدأ حرية اختيار الإمام عن طريق الشورى أو التعيين وحق الأمة في عزله عن المنصب إن حاد عن حكم ما أنزل الله به وبناء على هذه المطالب فإنهم، اصطدموا بالأمويين طيلة فترة حكمهم، ثم حوّلوا نشاطهم إلى المغرب، انظر، الطبري، تاريخ، ج 4، ص 563، وما بعدها ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 161، ج4، ص19، أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص75، محمود إسماعيل، الخوارج، هنا وهناك.
- (6) أخذت هذه المدن تحاول استرجاع مكانتها السياسية التي منحت لها من عهد الخليفة "علي" الذي حوّل الإدارة المركزية، إلى جنوبي العراق ليعاين المشاكل المطروحة هناك ميدانيا حتى لا يزداد خطرها بغياب المسؤولين.
- الطبري، تاريخ، ج4، ص188، الدينوري، الأخبار، ص236، فلها وزن، الخوارج والشيعة 147-148، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، ج1، ص37، جمال الدين سرور، الحياة السياسية، ص132-133.
- (7) عن تفاصيل أحداث هذا الموضوع راجع، الطبري، ج 4، ص188، وما بعدها الدينوري، الأخبار، ص 236 وما بعدها، اليعقوبي، تاريخه، ج4، ص255 وما بعدها.
- (8) نتحدث كتب التاريخ عن تفاصيل أحداث هذه المعركة ولا أدري ما سبب تحول أكثر المؤرخين ضد الأمويين في هذه القضية رغم وضوح مساهمة العلويين فيها مساهمة كبيرة انظر على سبيل المثال.
- الطبري، تاريخ ج4، ص320، وما بعدها، ابن طباطبا، الفخري، ص100، وما بعدها.

(٩) عن مثل هذه الترتيبات راجع، الطبري، ج 4، ص 266 وما بعدها، ابن الأثير، الكامل، ج 4 ص 62، فلها وزن الخوارج، ص 320، سرور، الحياة السياسية، ص 138، وما بعدها.

(10) سببت الحركة التي قام بها هذان الزعيمان متاعب كثيرة للأمويين يصعب تحديدها في هذا المجال وللمزيد راجع، الطبري، ج 4، ص 445، وابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 67، وما بعدها، المسعودي، مروج، ج 3، ص 211.

(11) الطبري، تاريخ ج 4، ص 557، وما بعدها، المسعودي، مروج ج 3، ص 221، الدينوري، الأخبار، ص 300، وما بعدها ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 97، فلها وزن الخوارج، ص 210 وما بعدها.

(12) يعد الرجل الثاني في البيت الأموي بعد معاوية بن أبي سفيان في تدبير السياسة ومواجهة مشاكلها ولقد اتسم عصره بالاضطرابات الشديدة في الداخل والخارج بسبب نشاط أحزاب المعارضة من شيعة وخوارج وتحركات البيزنطيين على الحدود الشمالية من الخارج. عن أحداث ذلك راجع المسعودي، مروج، ج 3، ص 99، وما بعدها، ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 347، والمصادر حول سياسة هذا الخليفة تجاه العلويين كثيرة ومتنوعة وقد قدم الدكتور عبد الأمير عبد الحسن دكسن، أطروحة نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة لندن تحت عنوان: الخلافة الأموية 661-86 هـ ولذلك ننصح بالرجوع إليها في مثل هذا الموضوع وخاصة الفصل الثاني، ج 3، ص 116.

(*) أشرف على بحث طريف، عنوانه "التقية ودورها في إسقاط الخلافة الأموية وإقامة الخلافة العباسية" وسناقش قريباً إن شاء الله.

(13) لمؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص 165، المقدسي، البدء والتاريخ، ج 6، ص 59.

(14) الطبري، التاريخ، ج 7، ص 109 وما بعدها، ابن الأثير، ج 4، ص 235.

(15) إن الوثائق السياسية للعمل السري الذي قام به جهاز الدعوة الإسلامية قليلة جداً ويشكو الباحثون المعاصرون من ندرتها رغم

محاولاتهم الجادة للعثور على ما يسد هذا الفراغ في تاريخ الحركات السرية في الدولة الإسلامية، انظر عمر فاروق، طبيعة الدعوة

العباسية، ص 42، محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، ص 7، (س.د.)، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم، ص 64.

(*) هو عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، زعيم الشيعة ووريث الدعوة العلوية ضد بني أمية وتعرف دعوته بالهاشمية نسبة إليه ولا ندري ما سبب ذهابه إلى دمشق حيث وفد على الخليفة الأموي سليمان ابن عبد الملك الذي رأى في شخصيته ما يجعله يتخوف منه فبادر بعرقته وكان سبباً في اغتياله على ما يروى، توفي عام 98 هـ/716 م فأوصى بالإمامة إلى محمد بن علي-العباسي- فانتقلت الدعوة من العلويين إلى العباسيين، انظر

الطبري، تاريخ، ج 9، ص 123، ابن خلدون، العبر، ج 3، ص 368، ماجد، العصر العباسي، ج 1، ص 22-23.

(16) هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب 62-125 هـ/681-743 م من كبار الدعاة ومن ألد أعداء الأمويين يروى

أنه قاد جهاز الدعوة قيادة حكيمة وبالغ في الحفاظ على سريته وهو الذي أثبت زعامة المعارضة العلوية في البيت العباسي وإليه ينسب

معظم الخلفاء العباسيين، الطبري، تاريخ، ج 7، ص 109-141 وما بعدها، ابن الأثير، الكامل، ج 2، ص 14، ج 3، ص 155-310، ابن

عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 1، ص 166، الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج 6، ص 271.

(17) اختار الدعاة إقليم خراسان منطقة لنشاط المعارضة العلوية ضد الأمويين وذلك لأسباب موضوعية منها نقاش ظاهرة النعمة بين

سكانه ومنها أن هؤلاء الخراسانيين كانوا أقدر من غيرهم على احترام هذه الحركة والدفاع عنها إلا أن أغلبهم من شيعة علي، ومنها البعد

الجغرافي لهذا الإقليم من الإدارة المركزية، انظر لمؤلف مجهول، أخبار الدولة، ص 165، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة خراسان،

ج 2، ص 35، وما بعدها، ابن قتيبة، العيون، ص 136-141.

(18) هو إبراهيم بن علي 82-131 هـ/701-748 تولى الإمامة بعد أبيه محمد وتعدّه أغلب المصادر التاريخية أنشط إمام عرفته الدعوة

العباسية إذ في عهده توجت أعمال الجهاز بإعلان الثورة ضد الأمويين ولسوء حظ هذا الإمام فإنه لم تكتب له رؤية ثمار أعماله إذ سرعان

ما اكتشف أمره واغتيل على يد الأمويين عام 131 هـ/748 م الطبري، تاريخ، ج 7، ص 353 وما بعدها، ابن الأثير، الكامل، ج 4،

ص 252. ابن العماد، شذرات، ج 1، ص 179.

(19) أبو مسلم: هو عبد الرحمن بن مسلم أعظم قادة الثورة العباسية على الإطلاق حتى لقبته معظم الروايات التاريخية بلقب أمير آل

محمد وذلك نظراً للدور الفعال الذي قام به لصالح الدعوة في مرحلتها السرية والعلنية وتطنب مصادر التاريخ الإسلامي في الحديث عن

شخصيته ومواهبه في الحرب و السلم انظر ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 350-352.

(20) أطنبت مصادر التاريخ في الحديث عن تفاصيل المعارك التي دارت بين الجيش العباسي والجيش الأموي وتبالغ هذه المصادر

وتتهول في عمليات التصفية التي قام بها أنصار العباسيين ضد الأمويين وأتباعهم أيضاً. للإطلاع راجع كتب الحوليات فيما بين عامي

127 هـ/132 هـ.

(*) يعد المدبر الأول لخطط جهاز الدعوة بعد الإمام المستر بدأ نشاطه لصالح هذا الحزب منذ عهد مبكر، وقدرته على ممارسة التستر

والعمل السري فاقت كل تقديرات ولذلك نجا من متابعة الأمويين له ومارس أعماله بكل ثقة وحذر، انظر البلاذري، أنساب الأشراف،

مخطوط نسخة مصورة عندي ورقة 308 أو ما بعدها، المقديسي، البدء، ص 65-71، ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 254-291 وما بعدها.

(²¹) الدينوري، الأخبار، ص 370-372، الطبري، تاريخ، ج 7، ص 423-424، المسعودي، مروج، ج 3، ص 26، ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 323.

(22) ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ج 2، ص 313.

(²³) ابن قتيبة، العيون، ص 230 ابن طباطبا، الفخري، ص 163، الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 256-257.

(*) من أبرز الشخصيات البارزة في البيت الهاشمي، تناولت مصادر التاريخ الإسلامي أخباره بشيء من التفاصيل، راجع، المسعودي، مروج، ج 3، ص 294، وما بعدها، الأصفهاني مقاتل الطالبين، ص 13 وما بعدها، ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 337 وما بعدها، ج 4، ص 15-17.

(24) اهتم الأديب المصلح "ابن المقفع" بمثل هذه المواضيع الحساسة وأجهد نفسه في الوصول إلى حلول لمثل هذه القضايا وسجل مجموعة رائعة من الآراء ووجهات نظره في كتاب يعرف بـ "رسالة الصحابة" وقد وجهه إلى الخليفة أبي جعفر المنصور جاء فيه بخصوص موضوع العلويين: "...ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر فتيان أهل بيته وبني علي فإن فيهم رجال لو متعوا بجسام الأمور والأعمال سدوا وجوها وكانوا عدة أخرى" ولي محاولة في البحث حول هذا الموضوع وغيره تحت عنوان "الإصلاح السياسي والاجتماعي للدولة الإسلامية من خلال آراء ابن المقفع".

(25) قارن اليعقوبي، تاريخه، ج 2، ص 360 بـ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 176.

(26) عن أحداث هذه الانتفاضة راجع الطبري، حوادث سنة 137 هـ وابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 348-350 الجيهشاني، كتاب الوزراء، ص 104، اليعقوبي، تاريخه، ج 2، ص 368.

(27) الدينوري، الأخبار، ج 10، ص 282، ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 350-375 ابن كثير، البداية، ج 10، ص 71، المسعودي، مروج، ج 3، ص 305.

(28) الطبري، تاريخ، حوادث سنة 145 هـ، ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 2، وما بعدها.

(29) كان هذا الوالي هو رباح بن عثمان المروي أشهر في المصادر التاريخية باستخدامه العنف ضد بني أمية حيث ضيق عليهم الحصار في المدينة وساء لهم سوء العذاب، خدمة للعباسيين وإرضاء لهم.

أنظر، ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 370-373-374.

عبد المنعم ماجد، العصر العباسي، الأول، ج 1، ص 86.

(30) كانت المدينة المنورة أول عاصمة للدولة الإسلامية منذ عهد الرسول P واستمرت تمثل الدور الأول في توجيه دعوة الإسلام الناشئة فترة الخلفاء الراشدين باستثناء عهد الخليفة علي بن أبي طالب الذي انتقل إلى الكوفة كما أشرت إلى ذلك سابقا، وبمجيء الأمويين انتقلت العاصمة بصفة رسمية إلى بلاد الشام (دمشق) فصارت المعارضة في المدينة تعبر بصورة غير واضحة عن هذا التحويل.

(31) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 3.

(32) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 5، وما بعدها، ماجد، العصر العباسي، ج 1، ص 89.

(33) ماجد، العصر العباسي، ج 1، ص 88، اعتمادا على الطبري، ج 9، ص 183.

(³⁴) جاء في وصية الخليفة لقائده الذي وجهه إلى المدينة لحرب العلويين ما يلي: "يا أبا موسى إذا صرت إلى المدينة فادع محمدا إلى

الطاعة والدخول في الجماعة فإن أجابك فاقبل منه وإن هرب منك فلا تتبعه وإن أبى إلا الحرب فأنجزه واستعن بالله، وإن ظفرت به لا تخيفن أهل المدينة وعمهم بالعفو..." قارن، الذهبي، تاريخ دول الإسلام، ج 6، ص 16-17، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 5، ص 86-87.

(35) وردت رسالة الزعيم العلوي إلى الخليفة المنصور في كثير من المصادر العربية الإسلامية مع اختلاف بسيط في الشكل، انظر،

الطبري، تاريخ، ج 6، ص 195، 199، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 5، ص 79-85، الفلقشندي، صبح الأعشى، ج 1، ص 231.

- (36) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص8-11، المسعودي، مروج، ج3، ص306-308.
- (37) تجد تفاصيل أحداث ذلك عند، ابن الأثير، ج5، ص15-20.
- (38) انظر ما سبق.
- (39) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص19-20، المسعودي، مروج، ج3، ص307.
- (40) حكم الخليفة المهدي منذ سنة 158هـ عن تفاصيل مواقفه راجع، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص31، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص50، وما بعدها، ابن طباطبا، الفخري، ص182، وما بعدها وغيرهم.
- (41) عبد المنعم ماجد، العصر العباسي، ج1، ص153.
- (42) انظر، المسعودي، مروج، ج3، ص336، الأصفهاني، مقاتل، ص463، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص74-76، ابن طباطبا، الفخري، ص190-191.
- (43) الطبري، تاريخ، ج6، ص418، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص75، الأصفهاني، مقاتل، ص450، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص75.
- (44) المسعودي، مروج، ج3، ص136، ابن طباطبا، الفخري، ص192، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص75، ماجد، العصر العباسي، ج1، ص181-187.
- (45) أحد الأقاليم الهامة يقع شرقي حدود الخلافة العباسية اختاره "بجي العلوي" مكانا لنشر دعوته نظرا لبعده عن مركز الخلافة ولتأييد سكانه له أيضا، عن أحداث ذلك راجع، الطبري، تاريخ، ج8، ص242، وما بعدها، البيهقي، تاريخه، ص40، الياضي، مرة الجنان، ج1، ص430، ابن طباطبا، الفخري، ص144.
- (46) حاولت معالجة موضوع علاقة البرامكة بالحزب العلوي في عهد الخليفة هارون الرشيد في غير هذه الدراسة، قد بينت فيه طموح أسرة البرامكة وأهدافها من وراء تدخلاتها في معالجة مثل هذه القضايا الحساسة في تاريخ الخلافة العباسية، انظر قويدر بشار، دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية، (رسالة جامعية).
- (47) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص90.
- (48) ابن الأثير الكامل، ج5، ص76. وعن تفاصيل أحداث هذا الموضوع راجع ما كتبه المؤرخون المغاربة مثل البكري، كتاب المسالك، ص117 وما بعدها، ابن خلدون كتاب العبر، ج3، ص216، ج4، ص12-13، السلاوي، الاستقصاء، ج1، ص141.
- (*) هذا الموضوع أشار إليه عدد هام من المؤرخين القدماء والمحدثين ولا حرج أن لا نضيف إلى ذلك شيئا في هذه الدراسة التي تقتصر على العلويين في المشرق.
- (49) ابن خلدون، المقدمة، ص19، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص76، ابن التبري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص59.
- (50) نتحدث مصادر التاريخ الإسلامية بإسهاب عن مثل هذه الحوادث الدموية بين الأشقاء وتبدي حولها استنكارا شديدا وعطفا بالغا على أولئك الضحايا الأبرياء، انظر كتب حوليات فيما بين سنتي 199هـ-200هـ.
- (51) الطبري، تاريخ، ج8، ص555-556، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص183.
- (52) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص174-176.
- (53) الطبري، تاريخ، ج8، ص568، وابن الأثير الكامل، ج5، ص193.